جامع احمد بن طولون

للأستاذ أحمد رمزى بك

قنصل مصر فى سوريا ولبنان

[تتمة]

سبب ذلك الفتنة التى قامت بمصر ، وانتهت بمقتل الملك الأشرف ، خليل بن المنصور قلاوون ، فقد بدأت تلك المؤامرة فى جبال كسروان ، حينما عاد منها الأمير بيدا منصوراً أتابك العساكر المصرية ، والتقى بالسلطان فى دمشق فأكرمه ، ثم تغير عليه فأسمعه القارص من الكلام فعقد النية مع بعض القواد على الفتك به ولم تسنح الفرصة إلا فى إقليم البحيرة ، عند عودة السلطان من الأسكندرية وقت انفراده بالصيد ، وقد ترتب على وفاة الأشرف المناداة بأخيه الناصر محمد فى العاشرة من عمره فقبض على بيدا ، وعلى من يميل إليه . واتجهت الشكوك إلى حسام الدين لاجين ، من أمراء الألوف وقواد الدولة ، فلجأ هذا إلى المنارة الحلزونية ، وأعطى الله عهداً — إن سلم من هذه المحنة ومكنه فى الأرض أن يجدد عمارة الجامع — وقد استجاب الله دعاءه ، فآتاب الأمير علم الدين الداوداري ، وجعل إليه شراء الأوقاف التى على الجامع الطولونى ، وصرف إليه كل ما يحتاج إليه فى العمارة وأكد عليه ألا يسخر فاعلاً أو صانعاً ، وألا يقيم مستحثاً للصناع ، ولا يشترى لعمارته شيئاً مما يحتاج إليه من سائر الأصناف ، إلا بالقيمة التامة ، وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته

وقد أقام عمارة بالجامع وبالمحراب وبالقبة وبلاطه وبيضه ، وخلد ذلك فى لوحة مكتوب عليها :

« أمر بتجديد هذا الجامع مولانا السلطان المنصور حسام الدنيا والدين لاجين »

ورتب فيه دروساً للفقه ودرساً للحديث ، ودرساً للطب ، وقرر للخطيب مرتباً وجعل له إماما ، ومؤذنين وفراشين وخدما ، وبلغت النفقة على العمارة عشرين ألف دينار

وفى المقريزى والسيوطى وابن إياس ما يدل على بقاء الأوقاف جارية والدروس وأسماء من تولى النظر عليه حتى نهاية الدولة المصرية ، وفى خطط على باشا مبارك ما يدل على ذلك فى أوائل العهد العثمانى .

ولقد استعمل المسجد آناً كملجأ للغارية ، وأخرى كمخزن

كلا ! على التحقيق

ولكنه يفضل أن يموت كلاهما لكي يقول عنه : رحمة الله ! لقد كان أديباً فذاً !

* * *

لا يملك الأديب أن يكتب فى رثاء « وزير » دون أن يكون فى طبيعة هذا الرثاء شىء من رثاء نفسه ، فالواقع أنه — كان — أمثولة حية للأديب العراقى فى بلاد الرافدين !

فقد كان موظفاً أفنى فى وظيفته ربع قرن بدون أن يحصل على أجازة يوم واحد ، ومات بعد كل ذلك فقيراً !

وحاول أن يقوم بأعظم خدمة يستطيع أن يقوم بها فرد نحو أمته ولغته ، وتجاهل جميع الصعوبات ، وانكب على تهيئة أعظم قاموس إنكليزى — عربى ، ولكن الصعوبات لم تتجاهله . بل انكبت عليه بأجمعها حتى اضطر أن يبيع ملازم الجزء الأول من قاموسه العظيم إلى باعة الجبن !

وكم كان يكسب لو أنه انصرف فى حياته إلى شىء غير الأدب فى هذا البلد ؟ وكم كان يسعد هو وأهله لو أنه وضع نصب عينيه — مثلاً — أن يقتنى سيارة لوري بدلاً من أن يكون الأول فى دراسة نظرية النسبية لأينشتين ؟

لقد كان « وزير » رمزاً حياً — حتى بعد وفاته ، للأديب العراقى فى كل صفاته المثلى

طاب ثراه ، وطابت ذكراه

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

لحفظ القمح ، وفى عهد الملك السعيد أقام المأتم بمناسبة مرور السنة الأولى على وفاة والده الشهيد الملك الظاهر ، فكان جامع ابن طولون من المساجد التى اجتمع فيها الناس للعزاء آلافا .

ولو شئنا أن نعود إلى ما ذكرنا من كتب التاريخ رأينا أنه صلى فى هـذا المسجد على بعض من مات من خلفاء العباسيين بالقاهرة الذين لا تزال قبورهم محفوظة بجوار السيدة نفيسة ، وكان آخرهم المتوكل على الله يعقوب الذى توفى فى آخر عهـد السلطان الغورى .

ثم بدأ عهد تدهور للمسجد حتى وصل إلى درجة خيف من سقوط سقفه ، وجار الناس على أطرافه حتى أصبحت المنـازل تطل عليه ، وأخيراً توجهت إرادة المغفور له ملك مصر فؤاد الأول لإقامة الشعائر الدينية في الجامع ، فصلى فيه صلاة الجماعة يوم الجمعة ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦

ثم صـدر النطق الكريم بوضع برنامج لإصـلاح الجامع وتبليط الأزوقة وتجديد البوائك التى اندثرت ، وإصـلاح الطاقات ، ثم أعقب ذلك نزع ملكية المبانى التى شغلت جزءاً من الأروقة المحيطة به حتى يصبح المسجد خالياً من جهاته الأربع فى وسط ميدان عرضه من كل جهة عشرون متراً غير الميادين التى ستفتح أمام أبوابه

وفى سـنة ١٩٢٦ فتحت الحكومة اعتماداً قدره ٤٥ ألف جنيه مصرى ، ثم أعقبها بأخرى ؛ فكان ما صرف على إعادة المسجد مبلغ ٩٠ ألف جنيه مصرى

والآن وقد تمت هـذه الإصلاحات للجامع الطولونى ، فقد ظهر أهم الآثار العربية بالديار المصرية وأقدمها بمعالمه الحقة وأعيدت إليه الشعائر الدينية ، أدعو كل من قرأ هذه الكلمة إلى زيارته كلما توجه إلى مصر ، فهو أثر خالد لا تشبع العيون من رؤيته ، وفى العام الماضى فى أوائل المحرم ، وقد خرجت من المسجد بعد صـلاة الجمعة ، وتقدمت من الخطيب . قلت : ألا تذكر صاحب الصرح العظيم بكلمة . قال : إن شاء الله سأجعل فى كلامى كل يوم جمعة رحمة ، أسأل الله أن تنزل على الأمير العظيم فى مرقده .

وإنى لأختم كلمتى بترديد شعر للمعتمد العباسى يرثى صاحب المسجد :

إلى الله أشكو أسى عرانى كوقع الأسـل
على رجـل أروع يرى فيه فضل الرجل
شهاب خبـا وقده وعارض غيث أفل
شكت دولتى فقـده وقد كان زين الدول

وذكر ابن خلكان : « وزرت قبره فى تربة عتيقة من الباب المجاور للقلعة على الطريق المتوجه إلى القرافة الصغرى بالقطم » .

***

عسى أن توفق مصر للعثور على قبر أول عاهل استقل بها فى عهدها العربى .

أحمد رمزى

إلى هواة المغناطيسية

وإلى المصابين باضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بعمرة بمصـــر وارفق بطلبك ٣٠ مليماً طوابع المصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .